

## سورة الرعد

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابِ وَرَزَعٌ وَيَحِيدُ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَتَفْضِيلٌ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ .

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَتَفْضِيلٌ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فإنه دل بهذا على تفضيله بعض المخلوقات على بعض، مع استوائها فيما تساوت فيه من الأسباب) ا.هـ (١).

وقال رحمه الله: (في القرآن: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦] ويراد «بالعقل» الغريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها) ا.هـ (٢).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ .  
(وقوله: ﴿إِنْ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ - في أصح الأقوال - أي ولكل قوم داع يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته كما أنت هادٍ أي داع لمن أرسلت إليه، والهادي: بمعنى الداعي المعلم المبلغ لا بمعنى الذي يجعل الهدى في القلوب كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى]، وقوله: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ...﴾ [فصلت: ١٧] ا.هـ (٣).

وقال رحمه الله: (إنه قد قيل معناه: إنما أنت نذير ولكل قوم هاد، وهو الله تعالى، وهو قول ضعيف، وكذلك قول من قال: أنت نذير وهاج لكل قوم، قول ضعيف، والصحيح أن معناها: إنما أنت نذير، كما أرسل من قبلك نذير، ولكل أمة نذير يهديهم أي يدعوهم، كما في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

(١) دره تعارض العقل والنقل (١/٣٨٢) . (٢) مجموع الفتاوى (١١/٢٣١) .

(٣) الجواب الصحيح (٢/٩٩ - ١٠٠) .

وهذا قول جماعة من المفسرين، مثل قتادة وعكرمة وأبي الضحى وعبد الرحمن بن زيد. قال ابن جرير الطبري: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، وحدثنا أبو كريب حدثنا [وكيع، حدثنا] سفيان، عن السُّكْرِي، عن عكرمة، ومنصور عن أبي الضحى: إنما أنت منذر ولكل قوم هاد قالوا: محمّد هو المنذر وهو الهادي<sup>(١)</sup>.

حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: لكل قوم نبي «الهادي» النبي و«المنذر» النبي أيضاً وقرأ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقرأ: ﴿نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٦] قال: «نبي من الأنبياء».

حدثنا بشار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا سفيان، عن ليث عن مجاهد قال: «المنذر»: محمد، و«لكل قوم هاد» قال: نبي<sup>(٢)</sup> ا. هـ<sup>(٣)</sup>.

وقال رحمه الله: (وأما تفسيره بـ(عليّ) فإنه باطل، لأنه قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وهذا يقتضي أن يكون هادي هؤلاء غير هادي هؤلاء، فيتعدد الهداة، فكيف يُجعل عليّ هادياً لكل قوم من الأولين والآخرين؟! ا. هـ<sup>(٤)</sup>.

وقال رحمه الله: (إن قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نكرة في سياق الإثبات، وهذا لا يدل على معين، فدعوى دلالة القرآن على عليّ باطل، والاحتجاج بالحديث ليس احتجاجاً بالقرآن، مع أنه باطل.

التاسع: أن قوله: كل قوم، صيغة عموم. ولو أريد أن هادياً واحداً للجميع لقليل: لجميع الناس هاد لا يُقال: (لكل قوم) فإن هؤلاء القوم [غير هؤلاء القوم] وهو لم يقل: لجميع القوم، ولا يُقال ذلك، بل أضاف «كلاً» إلى نكرة، لم يصفه إلى معرفة.

كما في قولك: «كل الناس يعلم أن هنا قوماً وقوماً متعددين، وأن كل قوم لهم هادٍ ليس هو هادي الآخرين» وهذا يبطل قول من يقول: [إن] الهادي هو الله تعالى، ودلالته على بطلان قول من يقول: «هو عليّ» أظهر) ا. هـ<sup>(٥)</sup>.

﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ (٦).

(كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣] ومنه قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فالغيب ما غاب عن شهود العباد، والشهادة ما شهدوها) ا. هـ<sup>(٦)</sup>.

(٢) ابن جرير (١٠٨/١٣).

(١) ابن جرير (١٠٦/١٣).

(٤) منهاج السنة (٧/١٤٢).

(٣) منهاج السنة (٧/١٤١ - ١٤٢).

(٦) درء تعارض العقل (٥/١٧٢).

(٥) منهاج السنة (٧/١٤٣).

﴿لَمْ مَعَقِبْتُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١١).

(ومن هذا قوله تعالى: ﴿لَمْ مَعَقِبْتُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١٣] قيل: معقبات من أمر الله يحفظونه، وقيل: يحفظونه من أمر الله الذي ورد ولم يحصل، يحفظونه أن يصل إليه، وحفظهم بأمر الله) ا. هـ (١).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا يُغْتَدِرُ وَالْأَصَالُ﴾ (١٥).

(وهو سبحانه قد ذكر سجود الظل في غير موضع كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوُا ظِلَّهُمْ عَنِ آلِيمِينَ وَالشَّمَايِلِ سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَخِرُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا يُغْتَدِرُ وَالْأَصَالُ﴾ (١٥)، ومعلوم أن الظل إذا سجد لم يسجد على سبعة أعضاء: يضع رأسه ويديه ثم يرفع رأسه ويديه، بل سجوده ذله وخضوعه) ا. هـ (٢).

وقال رحمه الله: (والذين فسروا السجود بالخضوع والانقياد، لهم في سجودها قولان، أحدهما: أنه كونها مصنوعة مخلوقة منقادة لمشيئة الله واختياره، كما قالوا في تسبيحها مثل ذلك، وأنه شهادتها ودالاتها على الخالق. قال أبو الفرج في قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الساجدون على ضربين: أحدهما: من يعقل فسجوده عبادة والثاني: من لا يعقل فسجوده بيان أثر الصنعة فيه والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق، هذا قول جماعة من العلماء واحتجوا بالبيت المتقدم:

ترى الأكم فيه سجداً للحوافر

قال: وأما الشمس والقمر والكواكب فالحقها جماعة بمن يعقل، قال أبو العالية: سجودها حقيقة ما منها غارب إلا خرّ ساجداً بين يدي الله ﷻ ثم لا ينصرف حتى يؤذن له. قال: ويشهد لقول أبي العالية حديث أبي ذر، وذكره. قال: وأما النبات والشجر فلا يخلو سجوده من أربعة أشياء، أحدها: أن يكون سجوداً لا نعلمه، وهذا إذا قلنا برده فيها (٣). والثاني: إنه تفيؤ ظلاله، والثالث: بيان الصنعة فيه، والرابع: الانقياد لما سخر له.

قلت: الثالث والرابع من نمط واحد وهو كالمقدم، وأما السجود الذي لا نعلمه فهو كما ذكره البغوي) ا. هـ (٤).

(١) منهاج السنة (٣/٢٣٢).

(٢) جامع الرسائل (١/٤١ - ٤٢).

(٣) (برده فيها) هكذا ولم أفهمه.

(٤) جامع الرسائل (١/٤١ - ٤٢).

وقال رحمه الله: (لكن المؤمن يقنت له طوعاً وغيره يقنت له كرهاً، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (١) هـ.

وقال رحمه الله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا نُهُم بِالْعُدْوِ وَالْأَسْمَالِ﴾ (١٥) وقال السدي: هذا يوم القيامة، دليله: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، وقيل: قانتون: مذللون مسخرون لما خلقوا له) (٢) هـ.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَتَأْتَدُّونَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١١) هـ.

قال رحمه الله: (قال الله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾. وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة وليخلقوا شعيرة» (٣) هـ. (٤).

وقال رحمه الله: (قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا استفهام إنكار بمعنى النفي، أي ما جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فإنهم مقرون أن آلهتهم لم يخلقوا كخلقه وإنما كانوا يجعلونهم شفعاء ووسائط) (٥) هـ.

وقال رحمه الله: في استدلاله على تحريم الكيمياء التي يُقصد بها الغش وتشبيه المصنوع بالمخلوق ليروج ويعامل به الناس (فإن الله قال في كتابه: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وفي الصحيح عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله أنه قال: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة! فليخلقوا بعوضة!». وقد ثبت عن النبي ﷺ «أنه لعن المصورين» (٦) وقال: «من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ» (٧)، وقال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهاون بخلق الله» (٨)، وهذا التصوير ليس فيه تلبس وغش، فإن كل أحد يعلم أن صورة الحيوان المصورة ليست حيواناً ولهذا يُفرَّق في هذا التصوير بين الحيوان وغير الحيوان) (٩) هـ.

- |                                   |                                   |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) جامع الرسائل (٢٧/١).          | (٢) جامع الرسائل (١٩/١).          |
| (٣) البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١). | (٤) مجموع الفتاوى (٣٩٠/٢٩).       |
| (٥) مجموع الفتاوى (٣١١/١).        | (٦) البخاري (٢٠٨٦).               |
| (٧) البخاري (٧٠٤٢).               | (٨) البخاري (٦١٠٩)، ومسلم (٢١٠٧). |
| (٩) مجموع الفتاوى (٣٦٩/٢٩ - ٣٧٠). |                                   |

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّبِيلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ جِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧﴾﴾ .

قال رحمه الله: (وكذلك يضرب الله الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب ونوراً لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض، وبالنار التي يحصل بها النور، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّبِيلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ جِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧﴾﴾، فشبّه العلم بالماء المنزل من السماء؛ لأن به حياة القلوب، كما أن بالماء حياة الأبدان، وشبه القلوب بالأودية لأنها محل العلم كما أن الأودية محل الماء. فقلب يسع علماً كثيراً وواد يسع ماء كثيراً، وقلب يسع علماً قليلاً وواد يسع ماء قليلاً، وأخبر تعالى أنه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء، وأنه يذهب جفاء أي يُرْمَى به ويخفى، والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر، وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات فإذا ترابى فيها الحق ثارت فيها تلك الشهوات والشبهات، ثم تذهب جفاء ويستقر فيها الإيمان والقرآن الذي ينفع صاحبه والناس، وقال: ﴿رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ جِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾، فهذا المثل الآخر وهو الناري، فالأول للحياة، والثاني للضياء.

ونظير هذين المثالين: المثالان المذكوران في سورة البقرة في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، إلى قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ١٩] (١) هـ.

وقال رحمه الله: (قال الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّبِيلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ جِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧﴾﴾، شبه ما ينزل من السماء على القلوب من الإيمان والقرآن، فيختلط بالشبهات والأهواء المغوية بالمطر الذي يحتمل سيله الزبد، وبالذهب والفضة والحديد

ونحوه إذا أذيب بالنار، فاحتمل الزبد فقذفه بعيداً عن القلب، وجعل ذلك الزبد هو مثل ذلك الباطل الذي لا منفعة فيه؛ وأما ما ينفع الناس من الماء والمعادن فهو مثل الحق النافع، فيستقر ويبقى في القلب.

وقد تقدم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿١﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ يَأْتِي الَّذِينَ كَفَرُوا وَاتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ ﴿٢﴾ [محمد].

فأخبر سبحانه أن سبب إضلال أعمال هؤلاء الذين كفروا حتى لم تنفعهم، وأن أعمال هؤلاء الذين آمنوا نفعتهم، فكفرت سيئاتهم وأصلح الله بالهم: أن هؤلاء اتبعوا الباطل قولاً وعملاً، اعتقاداً واقتصاداً، خيراً وأمرأ، وهؤلاء اتبعوا الحق من ربهم، ولم يتبعوا ما هو من غير ربهم، وإن كان حقاً من وجه.

وهذا تحقيق ما قلناه؛ فإن الخبر والعمل تابع للمخبر عنه، وللمقصود بالعمل فإذا كان ذلك باطلاً لا حقيقة له كان التابع كذلك، وإن كان موجوداً) ا.هـ<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله: (قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ جَلِيَّةٍ أَوْ مَتَعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ...﴾ الآيات، فضرب الله المثل لما ينزله من الإيمان والقرآن بالماء الذي ينزل في أودية الأرض، وجعل القلوب كالأودية: منها الكبير، ومنها الصغير كما في الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً: فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أمسكت الماء فسقى الناس وشربوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به من الهدى والعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». فهذا أحد المثليين.

و«المثل الآخر» ما يوقد عليه لطلب الحلية والمتاع: من معادن الذهب والفضة والحديد ونحوه، وأخبر أن السيل يحتمل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار زبد مثله، ثم قال: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ الرابي على الماء وعلى الموقد عليه فهو نظير ما يقع في قلوب المؤمنين من الشك والشبهات في العقائد والإرادات

الفاصلة كما شكاه الصحابة إلى النبي ﷺ قال تعالى: ﴿فِيذَهَبٌ جُفَاءٌ﴾ يجفوه القلب فيرميه ويقذفه كما يقذف الماء الزبد ويجفوه ﴿وَأَمَّا مَا يَبْفَعُ النَّاسَ فَمَكَتُ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو مثل ما ثبت في القلوب من اليقين والإيمان، كما قال تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ الآية إلى قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم].

فكل ما وقع في قلب المؤمن من خواطر الكفر والنفاق فكرهه وألقاه ازداد إيماناً و يقيناً، كما أن كل من حدثته نفسه بذنب فكرهه ونفاه عن نفسه وتركه لله ازداد صلاحاً وبراً وتقوى) ١. هـ<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله: (ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾ إلى قوله: ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ فإن هذا مثل ضربه الله فشبه فيه ما ينزله من السماء من العلم والإيمان بالمطر، وشبه القلوب بالأودية، والأودية منها صغار وكبار، فكل وادٍ يسيل بقدره) ١. هـ<sup>(٢)</sup>.

وقال رحمه الله: (وقد تقدم قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ﴾ كذلك يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَطْلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْفَعُ النَّاسَ فَمَكَتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿٧﴾ وهذا مثل ضربه الله لما أنزله في القلوب من الإيمان والقرآن، وشبه القلوب بالأودية، وشبه ما يخالط القلوب من الشهوات والشبهات بالزبد الذي يذهب جفاءً، يجفوه القلب ويدفعه، وشبه ما يبقى في الأرض من الماء النافع بما يبقى في القلوب من الإيمان النافع.

وتقدم أيضاً حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً: فكانت منها طائفة قبلت الماء، فأنبتت الكلال والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أمسكت الماء، فشرب الناس وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيعان: لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه وما بعثني الله به من الهدى والعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٧٦٦ - ٧٦٧).

(٢) درء تعارض العقل (٥/٧٦).

(٣) مرّ تخريجه.

فقسم ﷺ الناس فيما بُعث به من الهدى والعلم، الذي شبهه بالغيث، إلى ثلاثة أقسام: قسم قبلوه فانتفعوا به في نفوسهم علماً وعملاً، وقسم حفظوه وأدوه إلى غيرهم، وقسم ثالث لا هذا ولا هذا) ١. هـ<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله: (والقرآن مورد يَرِدُهُ الخلق كلهم، وكلُّ ينال منه على مقدار ما قسم الله له قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ يَقْدَرُهَا فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾.

وهذا مثل ضربه الله سبحانه لما أنزله من العلم والإيمان والقلوب التي تنال ذلك، شبه الإيمان بالماء النازل، والقلوب بالأودية، فمتها كبار ومنها صغار، وبين أن الماء كما يختلط بما يكون في الأرض، كذلك القلوب فيها شبهات وشهوات تخالط الإنسان، وأخبر أن ذلك الزبد يجفأ [جُفَاءً] وما ينفع [الناس] يمكث في الأرض، كذلك الشبهات تجفوها القلوب، وما ينفع يمكث فيها.

وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاُ والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس وسقوا ورعوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» ١. هـ<sup>(٢)</sup>.

وقال رحمه الله: (وأما ما استشهد به من قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فيقال: لا خلاف بين المسلمين أن في القرآن أمثالاً في هذه الآية وفي غيرها، بل يقال فيه أكثر من أربعين مثلاً، ومعلوم أن الممثل ليس هو الممثل به، بل يشبهه من جهة المعنى المشترك، وهذا شأن كل قياس، وتمثيل، واعتبار، كما في قوله تعالى: ﴿مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، وقوله: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٦١]، وقوله: ﴿فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وأمثال ذلك وقوله: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْكَوٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الآية [النور: ٣٥]،



وهذه الآية وهي قوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهي أيضاً على ظاهرها كسائر الآيات مع تضمنها للمثل المذكور فإنه سبحانه قال: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو على ظاهره، وهو الماء المعروف، فإنه أخبر بإنزاله، ثم أخبر بعد ذلك بالزبد الذي يخرج مما يوحد عليه النار ابتغاء حلية أو متاع، ثم قال بعد ذلك: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ فلما ذكر المثل والتشبيه، وهذا من الأمثال التي قال في آخرها: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ فقد صرح فيها بأنه يضرب الأمثال كما ضرب هذا المثل، وقد بين سبحانه الأصل المشبه به، ثم ذكر المشبه، فانطبق الكلام على حقيقته وظاهره، ومن توهم أنه أراد مجرد العلم كما توهمه المتوهم، فقد غلط، لكنه أراد به أولاً هذا الماء وجعله مثلاً مضروباً للعلم كما في الصحيحين، عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعشب كمثل غيث كثير أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس وسقوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» (١) هـ.

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْعَيْقُقَ﴾ (٢٠)

(كقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْعَيْقُقَ﴾ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ، فما أمر الله به أن يوصل فهو إلزام من الله به، وما عاهد عليه الإنسان فقد التزمه، فعليه أن يوفي بعهد الله، ولا ينقض الميثاق، إذا لم يكن ذلك مخالفاً لكتاب الله) (١) هـ (٢).

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢١)

قال رحمه الله: (وقوله في السابق والمقتصد والظالم لنفسه: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ لا يمنع أن يكون الظالم لنفسه قد عذب قبل هذا ثم يدخلها) (١) هـ (٣).

﴿وَالَّذِينَ يَقْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٢)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩/٣٤١ - ٣٤٢).

(١) بغية المرئاد (٣١٤ - ٣١٥).

(٣) منهاج السنة (٥/٢٩٨).

قال رحمه الله: (ومثله قوله تعالى: ﴿لَمْ أَلْعَنَهُ﴾ أي عليهم اللعنة. ونقل هذا حرمله عن الشافعي. ونُقِلَ عن المزني، وهو ضعيف.

أما أولاً: فإن قوله: «اشترطي لهم» صريح في معناه، واللام للاختصاص، وأما قوله: ﴿لَمْ أَلْعَنَهُ﴾ فمثل قوله: ﴿لَمْ أَلْعَذَابُ﴾ [الكهف: ٥٨] و﴿لَهُمْ حِزْبٌ﴾ [مائدة: ٣٣] وهو معنى صحيح؛ ليس المراد أنهم يملكون اللعنة؛ بل هنا إذا قيل: ﴿لَمْ أَلْعَنَهُ﴾ فالمراد أنهم يجزون بها، وإذا قيل: عليهم، فالمراد الدعاء عليهم باللعنة، فالمعنيان مفترقان، وقد يراد بقوله: «عليهم» الخبر: أي وقعت عليهم، فحرف الاستعلاء غير ما أفاده حرف الاختصاص، وإن كانا يشتركان في أن أولئك ملعونون، وقوله: «اشترطي لهم» مباين لمعنى اشترطي عليهم، فكيف يفسر معنى اللفظ بمعنى ضده؟! ا.هـ<sup>(١)</sup>.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨).

(قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ والاطمئنان هو السكون؛ قال الجوهري: اطمأن الرجل اطمئناناً وطمأنينة: أي سكن) ا.هـ<sup>(٢)</sup>.

وقال رحمه الله: (ولهذا كانت القلوب تطمئن بذكره كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ فتقديم المفعول يدل على أنها لا تطمئن إلا بذكره وهو تعالى إذا ذكر وجلت فحصل لها اضطراب ووجل لما تخافه من دونه وتخشاه من فوات نصيبها منه، فالوجل إذا ذكر حاصل بسبب من الإنسان وإلا فنفس ذكر الله يوجب الطمأنينة لأنه هو المعبود لذاته والخير كله منه قال تعالى: ﴿تَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤١) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) [الحجر] وقال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٨) [المائدة]، وقال علي عليه السلام: «لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن عبد إلا ذنبه»<sup>(٣)</sup> فالخوف الذي يحصل عند ذكره هو بسبب من العبد، وإلا فذكر الرب نفسه يحصل الطمأنينة، والأمن ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] كما قال ذلك المريض الذي سئل كيف تجددك؟ فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»<sup>(٤)</sup>. ولم يقل بذكر الله توجل القلوب كما قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

(١) مجموع الفتاوى (٢٩/٣٣٧ - ٣٣٨). (٢) مجموع الفتاوى (٥/٥٧٠).

(٣) أبو نعيم في الحلية (١/٧٦) وهو أثر ثابت عن علي عليه السلام ولشيخ الإسلام شرح له.

(٤) الترمذي (٩٨٣) وابن ماجه (٤٢٦١) والحديث حسن.

اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١﴾ بل قال: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ثم قال ﴿وَإِذَا تَلَّيْتِ عَلَيْهِمْ ءَايَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] وإنما يتوكلون عليه لطمأنينتهم إلى كفايته وأنه سبحانه حسب من توكل عليه يهديه وينصره ويرزقه بفضلته ورحمته وجوده، فالتوكل عليه يتضمن الطمأنينة إليه والاكتماء به عما سواه وكذلك قال في الآية الأخرى: ﴿فَاللَّهُكُمُ إِلَهٌُ وَحْدٌ فَلَهُ اسْلِمُوا وَيَشِّرَ الْمُجِبِّينَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمَقِيصِي الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج]، فهم مخبتون والمخبت المطمئن الخاضع لله والأرض الخبت المطمئنة، روى ابن أبي حاتم من حديث ابن مهدي عن الثوري عن ابن أبي نجيح ﴿وَيَشِّرَ الْمُجِبِّينَ﴾، قال: المطمئنين<sup>(١)</sup>، وعن الضحاك<sup>(٢)</sup>: المتواضعين فوصفهم بالطمأنينة مع الوجل كما وصفهم هناك بالتوكل عليه مع الوجل وكما قال في وصف القرآن ﴿نَقَشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] فذكر أنه بعد الاقشعرار تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله فذكره بالذات يوجب الطمأنينة وإنما الاقشعرار والوجل عارض بسبب ما في نفس الإنسان من التقصير في حقه والتعدي لحده، فهو كالزيد مع ما ينفع الناس، الزيد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الأرض، فالخوف مطلوب لغيره ليدعو النفس إلى فعل الواجب وترك المحرم، وأما الطمأنينة بذكره وفرح القلب به ومحبتة فمطلوب لذاته، ولهذا يبقى معهم هذا في الجنة فيلهمون التسبيح كما يلهمون النفس) ا.هـ<sup>(٣)</sup>.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتَلَوَّا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَنَحْنُ عَلَيْهَا يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿١٠٠﴾﴾ .

(إن الله تعالى هو الذي يحب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب، وهو المعين على المطلوب وما سواه هو المكروه؛ وهو المعين على دفع المكروه، فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه، وهذا معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة] فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب؛ لكن على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب؛ فالأول من معنى الألوهية،

(١) لابن جرير (١٦١/١٧) والرواية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولعله إما سقط مطبعي أو سبق قلم.

(٣) النبوات (٧٨ - ٧٩).

(٢) ابن كثير (٢٢١/٣).

والثاني من معنى الربوبية، إذ الإله: هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً والرب: هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها، وكذلك قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾، وقوله: ﴿وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ [المزمل]، فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين) ا.هـ (١).

وقال رحمه الله: (وقد جمع الله بين عبادته والتوكل عليه في مواضع كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾ وقول شعيب: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ فإن الإنابة إلى الله والمتاب هو الرجوع إليه بعبادته وطاعته وطاعة رسوله، والعبد لا يكون مطيعاً لله ورسوله - فضلاً أن يكون من خواص أوليائه المتقين - إلا بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، ويدخل في ذلك التوكل) ا.هـ (٢).

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظِهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٣).

(وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ فهو يقوم عليها بكسبها لا بكسب غيرها، وهذا من قيامه بالقسط) ا.هـ (٣).

وقال رحمه الله: (ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظِهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يقول: سموهم بالأسماء التي يستحقونها هل هي خالقة رازقة محيية مميتة أم هي مخلوقة لا تملك ضراً ولا نفعاً؟؟ فإذا سموها فوصفوها بما تستحقه من الصفات تبين ضلالهم، قال تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ وما لا يعلم أنه موجود فهو باطل لا حقيقة له، ولو كان موجوداً لعلمه موجوداً ﴿أَمْ يَبْظِهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أم بقول ظاهر باللسان لا حقيقة له في القلب؛ بل هو كذب وبهتان) ا.هـ (٤).

- (١) مجموع الفتاوى (١/٢٢).  
 (٢) مجموع الفتاوى (٨/٥٢٧).  
 (٣) مجموع الفتاوى (١٤/١٨٢).  
 (٤) مجموع الفتاوى (٦/١٩٤ - ١٩٥).

## فصل

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى :

(في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ ﴾ قيل المراد سموهم بأسماء حقيقة لها معان تستحق بها الشرك له والعبادة، فإن لم تقدرُوا بطل ما تدعونهُ .

وقيل : إذا سميتموها آلهة فسموها باسم الإله، كالخالق والرازق، فإذا كانت هذه كاذبة عليها فكذلك اسم الآلهة، وقد حام حول معناها كثير من المفسرين، فما شفوا غليلاً ولا أرووا غليلاً، وإن كان ما قالوه صحيحاً .

فتأمل ما قبل الآية وما بعدها يطلعك على حقيقة المعنى، فإنه سبحانه يقول : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ وهذا الاستفهام تقرير يتضمن إقامة الحجة عليهم، ونفي كل معبود مع الله، الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت بعلمه وقدرته، وجزائه في الدنيا والآخرة، فهو رقيب عليها، حافظ لأعمالها، مجاز لها بما كسبت من خير وشر، فإذا جعلتم أولئك شركاء فسموهم إذاً بالأسماء التي يسمى بها القائم على كل نفس بما كسبت، فإنه سبحانه يسمى بالحَي القيوم، المحيي المميت، السميع البصير، الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه، ووجود كل شيء به، فهل تستحق آلهتكم اسماً من تلك الأسماء؟ فإن كانت آلهة حقاً فسموها باسم من هذه الأسماء؟ وذلك بهت بين، فإذا انتفى عنها ذلك علم بطلانها كما علم بطلان مسماها .

وأما إن سموها بأسمائها الصادقة عليها كالحجارة، وغيرها من مسمى الجمادات، وأسماء الحيوان التي عبدوها من دون الله، كالبقر وغيرها، وبأسماء الشياطين الذين أشركوهم مع الله جل وعلا، وبأسماء الكواكب المسخرات تحت أوامر الرب، والأسماء الشاملة لجميعها أسماء المخلوقات، المحتاجات، المدبرات، المقهورات .

وكذلك بنو آدم عبادة بعضهم بعضاً، فهذه أسماؤها الحق وهي تبطل إلهيتها؛ لأن الأسماء التي من لوازم الإلهية مستحيلة عليها؛ فظهر أن تسميتها آلهة من أكبر الأدلة على بطلان إلهيتها، وامتناع كونها شركاء لله ﷻ<sup>(١)</sup> .

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

(قال تعالى: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤] فالدائم الذي لا ينفد - أي لا ينقضي - هو النوع، وإلا فكل فردٍ من أفرادها نافذ منقض ليس بدائم) ا. هـ (١).

وقال رحمه الله: (قال حرب الكرماني - ورواه عنه أبو بكر الخلال في كتاب «السنة» -: ثنا محمد بن إدريس - يعني أبا حاتم الرازي - ثنا علي بن مسرة، ثنا علي بن الحسين بن شقيق، سمعت خارجة بن مُصعب يقول: «كفرت الجهمية، بآيات من كتاب الله، قال تعالى: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ وقالوا: ينقطع»، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ تَابُوتُ نَاظِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، فقالوا: لا تنظر) ا. هـ (٢).

وقال رحمه الله: (قال تعالى في الجنة: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ ومعلوم أن كل جزء من أجزاء الأكل والظل يفنى وينقضي، والجنس دائم لا يفنى ولا ينقضي، ولا توصف الأجزاء بما وصف به الكل) ا. هـ (٣).

وقال رحمه الله: (قال الله تعالى: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ وليس كل جزء من أجزاء الأكل دائماً) ا. هـ (٤).

وقال رحمه الله: (قال تعالى: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾ وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤]، فالجنس دائم لا نفاد له، وكل واحدٍ من أفراد الرزق المأكول ينفد لا يدوم) ا. هـ (٥).

وقال رحمه الله: (قال تعالى: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ فأخبر أنه دائم، والمنقطع ليس بدائم).

والثاني: مثل قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾، والمنقطع ينفد. والثالث: قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فأخبر أن ما في الدنيا من الخير ينفد، وما عند الله باق لا ينفد، فلو كان لما عند الله من النعيم آخر لكان ينفد كما ينفد نعيم الدنيا، ولم يكن باقياً لا ينفد) ا. هـ (٦).

وقال رحمه الله: (وقال تعالى: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ إلى غير ذلك من النصوص

(١) منهاج السنة (١/٤٢٦).

(٢) درء تعارض العقل (٩/١٥١).

(٣) درء تعارض العقل (٨/٣٤٤).

(٤) الرد على من قال بفناء الجنة والنار (٨٣ - ٨٤).

(٥) الصلفية (٢/١٦٤).

(٦) منهاج السنة (١/٤٢٨ - ٤٢٩).

الدالة على بقاء نعيم الجنة) ا. ه (١).

وقال رحمه الله: (قال تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ والمراد دوام نوعه، لا دوام كل فرد) ا. ه (٢).

﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُمْ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٦﴾﴾.

(قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُمْ﴾ والفرح بذلك من زيادة الإيمان) ا. ه (٣).

وقال رحمه الله: (وفي هذا الباب قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُمْ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٦﴾ وكذلك أنزلته حكماً عربياً ولين أتبع أهواءهم بعد ما جاءك من العلو ما لك من الله من ولي ولا واقف ﴿٣٧﴾ فالضمير في أهوائهم، يعود - والله أعلم - إلى ما تقدم ذكره، وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه، فدخل في ذلك كل من أنكر شيئاً من القرآن، من يهودي ونصراني، وغيرهما، وقد قال: ﴿وَلِيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ من العلو، ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم، اتباع لأهوائهم، بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك) ا. ه (٤).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿١٧٨﴾﴾.

(وهنا المراد به سنته في رسله: أنه أباح لهم الأزواج وغيرها، كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ وأنه لا حرج عليهم في ذلك، فلم يكن محمد ﷺ بدعاً من الرسل، ولم يقل هنا: ولن تجد لسننتنا تبديلاً، فإنه لا نبي بعد محمد) ا. ه (٥).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٢﴾﴾.

- |                            |                                |
|----------------------------|--------------------------------|
| (١) منهاج السنة (١/٣١٠).   | (٢) منهاج السنة (٢/١٥٤).       |
| (٣) مجموع الفتاوى (٧/٢٢٨). | (٤) اقتضاء الصراط (١/٨٥ - ٨٦). |
| (٥) جامع الرسائل (١/٥٠).   |                                |

(ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (١٤) فمن عنده علم الكتاب شهد بما في الكتاب الأول وهو يوجب تصديق الرسول لأنه يشهد بالمثل ويشهد أيضاً بالعين وكل من الشهادتين كافية فمتى ثبت الجنس علم قطعاً أن المعين منه) ا.هـ (١).

وقال رحمه الله: (ولذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أنه علي، وهم مع كذبهم هم أجهل الناس، فإنهم نسبوا الله والرسول إلى الاحتجاج بما لا يحتاج به إلا جاهل، فأرادوا تعظيم علي فنسبوا الله والرسول إلى الجهل، وعلي إنما فضيلته باتباعه للرسول، فإذا قدح في الأصل بطل الفرع) ا.هـ (٢).

وقال رحمه الله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ وهم أهل الكتاب فهم يشهدون بما جاءت به الأنبياء قبل محمد فيشهدون أنهم أتوا بمثل ما أتى به كالأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن الشرك، والإخبار بيوم القيامة، والشرائع الكلية ويشهدون أيضاً بما في كتبهم من ذكر صفاته ورسالته وكتابه، وهذان الطريقتان بهما تثبت نبوة النبي ﷺ وهي الآيات والبراهين الدالة على صدقه أو شهادة نبي آخر قد علم صدقه له بالنبوة.

فذكر هذين النوعين بقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فتلك يعلم بها صدقه بالنظر العقلي في آياته وبراهينه، وهذه يعلم بها صدقه بالخبر السمعي المنقول عن الأنبياء قبله) ا.هـ (٣).

وقال رحمه الله: (وهذا كما قيل في قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أنه علي فهذا ضعيف، لأن شهادة قريب له قد اتبعه على دينه ولم يهتد إلا به لا تكون برهاناً للصدق، ولا حجة على الكفر، بخلاف شهادة من عنده علم الكتاب الأول فإن هؤلاء شهادتهم برهان ورحمة) ا.هـ (٤).

وقال رحمه الله: في حكاية استدلال الرافضي والجواب عليه. ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ من طريق أبي نعيم عن ابن الحنفية قال: هو علي بن أبي طالب، وفي تفسير الثعلبي عن عبد الله بن سلام قال: قلت: من هذا الذي عنده علم الكتاب؟ قال: ذلك علي بن أبي طالب، وهذا يدل على أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٨٦).

(١) النبوات (١٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٥/٦٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/١٩٢ - ١٩٣).



والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل عن ابن سلام وابن الحنفية.

الثاني: أنه بتقدير ثبوته ليس بحجة مع مخالفة الجمهور لهما.

الثالث: أن هذا كذب عليهما.

الرابع: أن هذا باطل قطعاً، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ولو أريد به علي لكان المراد أن محمداً يستشهد على ما قاله بابن عمه علي. ومعلوم أن علياً لو شهد له بالنبوة وبكل ما قال، لم ينتفع محمداً بشهادته له، ولا يكون ذلك حجة له على الناس، ولا يحصل بذلك دليل المستدل، ولا ينقاد بذلك أحد، لأنهم يقولون: من أين لعلي ذلك؟ وإنما هو استفاد ذلك من محمداً، فيكون محمداً هو الشاهد لنفسه.

ومنها أن يُقال: إن هذا ابن عمه ومن أول من آمن به، فيظن به المحاباة والمداهنة، والشاهد إن لم يكن عالماً يشهد به، بريئاً من التهمة، لم يحكم بشهادته، ولم يكن حجة على المشهود عليه، فكيف إذا لم يكن له علم بها إلا من المشهود له؟!.

ومعلوم أنه لو شهد له بتصديقه فيما قاله أبو بكر وعمر وغيرهما، كان أنفع له، لأن هؤلاء أبعد عن التهمة، ولأن هؤلاء قد يُقال: إنهم كانوا رجالاً وقد سمعوا من أهل الكتاب ومن الكهان أشياء علموها من غير جهة محمداً بخلاف علي فإنه كان صغيراً، فكان الخصوم يقولون: لا يعلم ما شهد به إلا من جهة المشهود له.

وأما أهل الكتاب فإذا شهدوا بما تواتر عندهم عن الأنبياء وبما علم صدقه كانت تلك شهادة نافعة، كما لو كان الأنبياء موجودين وشهدوا له. لأن ما ثبت نقله عنهم بالتواتر وغيره كان بمنزلة شهادتهم أنفسهم.

ولهذا نحن نشهد على الأمم بما علمناه من جهة نبينا، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهذا الجاهل الذي جعل هذا فضيلة لعلي قدح بها فيه وفي النبي الذي صار به علي من المؤمنين، وفي الأدلة الدالة على الإسلام. ولا يقول هذا إلا زنديق أو جاهل مفرط في الجهل.

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

**الخامس:** أن الله ﷻ قد ذكر الاستشهاد بأهل الكتاب في غير آية، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ [فصلت: ٥٢]، وقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠]، أفترى علياً هو من بني إسرائيل؟!، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، فهل كان علي من الذين يقرءون الكتاب من قبله؟، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]، فهل أهل الذكر الذين يسألونهم هل أرسل الله إليهم رجالاً هم علي بن أبي طالب؟!.

**السادس:** أنه لو قدر أن علياً هو الشاهد، لم يلزم أن يكون أفضل من غيره، كما أن أهل الكتاب الذين يشهدون بذلك، مثل عبد الله بن سلام، وسلمان وكعب الأحمبار وغيرهم، ليسوا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجعفر وغيرهم) ١. هـ<sup>(١)</sup>.

تم والحمد لله